9me Année No. 407

Lundi - 21 - 4 - 1941

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٤٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — الموافق ٢١ أبريل سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــرس

صفحة

٥٤٩ المبـالاة ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
٥٥٢ القرآن والمسلمون ... ... : الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
٥٥٥ بيني وبين الأستاذين فكرى أباظة وتوفيق الحكيم : الدكتور زكى مبارك ... ...
٥٥٨ فى العقـد ... ... : لأستاذ جليـل ... ...
٥٦٠ على ذكر المولد النبوى ... : الدكتور عبد الوهاب عزام
٥٦١ نظرة فى مناظرة ... ... : الأستاذ محمد توحيد السلحدار بك
٥٦٤ من آثام الربيع [قصيدة] : الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٥٦٥ أومن بالانسان ... ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٥٦٨ كتب جديدة ... ... : الأستاذ سيد قطب ... ...
٥٧١ مسايرات ... ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٥٧٢ فى القصة ... ... : الأستاذ الكبير (ا . ع)
٥٧٣ حول الدين والفلسفة ... : الأستاذ محمد يوسف موسى
إلى الأستاذ عبد المنعم خلاف : الأستاذ بشير صادق ... ...
٦٧٤ عطر المنصور ... [قصة] : الأستاذ رفعت فتح الله ...

٢٩ ، ١٦

المبـــالاة

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إلىّ الأديب صاحب الإمضاء من خطاب يقول فيه بعد تمهيد :

« إن الإنسان يفيد دائماً من التجارب المادية . فالأطباء مثلاً يهتدون بالتجارب الماضية ويطبقون فى فنهم آخر ما يصل إليه العلم ؛ ومن ثم كان التقدم الملحوظ فى الطب وسائر العلوم والفنون والآداب . فلماذا لا تسير الأمور كذلك فى معالجة المشاكل النفسية ؟ أريد أن أقول إن الإنسان — كل إنسان — لا يريد أو لا يستطيع أن يطبق القاعدة السابقة على مشاكله النفسية . فمثلاً حدثنا الكثير من الفلاسفة والكتاب عما انتابهم من أزمات منها ما أخافهم أو أيأسهم أو آلمهم ، ثم أردفوا ذلك بأن وضعوا تحت أعيننا تجاربهم وتجاوزهم هذا الطور إلى طور آخر ... وعندنا مثلاً أقرب هو صديقكم المازنى الذى كتب كثيراً مصوراً ما كان يلح عليه فى شبابه من يأس وخوف ، محاولاً أن يقنعنا أن كل ذلك كان عبثاً لا طائل تحته ، وأن الإنسان يستطيع أن يعيش دون أن يكون بحاجة إلى شىء من ذلك ... فلماذا لا يعتبر الشباب بقول المازنى فيأخذ الحياة من حيث انتهى ، ويقضى شبابه فى أنس وراحة وسعادة ؟ لماذا يأبى

كل امرىء إلا أن ينهج فى حياته على طريقته الخاصة ، فيقبل على ما يسلمه للخوف والشقاء ويمج فى الألم واليأس ! ... وأريد أن أقول أيضاً : إذا قيض للانسان أن ينتفع بتجارب غيره النفسية على النحو الذى ينتفع به فى التجارب المادية ، أيكون هذا رقياً وازدهاراً ، أم عندئذ تنتفى الحياة ؟ »

وبعد إسهاب فى هذا المعنى يقول الأديب : أرجو أن يتيح لنا الأستاذ ساعة نهرب فيها من حديث السياسة والحرب ونأنس به فيها إلى ظل الأدب الوريف ، وأن يكون ذلك على صفحات « الرسالة » ، فإنى من قرائها المدمنين

« دمنهور » صموع المسيرى

ويحضرنى فى الإجابة عن هذه الأسئلة قول الكاتب الإنجليزى الحديث ستيفنسن Stevenson إننا حين نقول للشاب : هكذا أيضاً كنا نفهم فى شبابنا فنحن نؤيده ولا نفنده بهذه الحجة !

وهو قول حق نافذ إلى اللباب ؛ لأننا ندل به على أن هذا الفهم الذى ننقده ونحاول أن نثنى الشباب عنه إنما هو من طبيعة الشباب التى لا محيد عنها ولا استثناء فيها . فكل شاب إذن خليق أن يفهم الأمور كما فهمها الشاب الذى نلومه ونهديه إلى خطئه !

وهكذا يسألنا الأديب : لماذا لا يعتبر الشاب بقول صديقنا المازنى فيأخذ الحياة من حيث انتهى ويقضى شبابه فى أمن وراحة وسعادة !

والجواب أن صديقنا المازنى نفسه لو عاد إلى الشباب لما اعتبر هذا الاعتبار ولا سلك فى الحياة إلا المسلك الذى عدل عنه بعد حين

وخيراً تصنع الحياة إذ تجعل كل حى مستقلاً بحياته عن التجارب النفسية التى جربها سابقوه . فليس من الحياة أن يعيش الإنسان عالة على شعور غيره ، وليس هذا بالمستطاع لو حسن أن يكون

وفرق شاسع بين المعلومات والتجارب النفسية فى هذا المجال ، فإنى لا أستطيع أن أعرف وحدى جميع المعارف الإنسانية التى عرفها السابقون وأضاف إليها اللاحقون ما أضافوه ؛ ولكنى أستطيع أن أجرب وحدى ما جربه كل فرد وحده ، ولا خسارة على فى ذلك !

لا بل الخسارة كل الخسارة فى تركى إياه يشعر « بالنيابة » عنى وإلقائى لشعورى أنا معتمداً على ما جربه واهتدى إليه . أما المعلومات فيكفى أن تنتقل إلىّ ليصبح نصيبى منها ونصيب من عرفوها جميعاً على قدر سواء ، فلا خسارة فى انتقالها من جيل إلى جيل

وينبغى أن نذكر هنا أن التجربة ليست مسألة فهم ولكنها مسألة رياضة

فالحصان الوحشى الذى تربطه بالقيود وتقيم من حوله العوائق لتمنع جماحه وتسلس قياده لا يثوب إلى السلاسة لأنه فهم أنها خير من الجماح ، أو وازن بينهما موازنة فكرية فاختار أفضلهما فى الرأى والمنطق ؛ ولكنه « ربض » على حالة لا يستطيع غيرها ولو فهم أن غيرها هو الصواب

ولو كانت التجارب مسألة فهم لما استعصى خطبها على أحد ، فإن حكمة الحكماء الذين قالوا إن « الصبر مفتاح الفرج » تفهم لفظاً ومعنى فى لمحة عين ، ولكن النفس لا تراض عليها قبل سنين حافلة بالحوادث والدروس ؛ وقد تمضى السنون ولا تبلغ بها مبلغ الرياضة على تلك الكلمات الثلاث !

إن الأقدمين قد أكلوا فشبعوا . فهل نشبع نحن لأن الأقدمين قد عرفوا الشبع من قبلنا دون أن نأكل كما أكلوا ؟

إذا جاز هذا جاز مثله أن نشبع من الحوادث والتجارب دون أن « نأكلها » كما أكلها الذين من قبلنا

ولكنهما خطتان بمنزلة واحدة من البعد والاستحالة : فألوف الألوف لا يشبعونك بما تناولوا من غذاء ؛ وألوف الألوف لا يعطونك التجربة التى تناولوها من حوادث الأيام ؛ وإنما الشبع شىء لا تناله إلا بما تعمله وظائف جسمك ؛ وكذلك التجربة شىء لا تناله إلا بما تعمله وظائف نفسك ، ولو رأيت أمامك كل المجربين وسمعت وصف التجارب من كل لسان مبين

والرجل بمفرده قد يجرب الحالة الواحدة على أنماط وألوان لا يحيط بها الإحصاء ؛ فيخونه عشرة أصدقاء ولا تحذره إحدى هذه الخيانات أن يستهدف لغيرها لأنها مختلفة المنحى والنتيجة .

ويحب عشر نساء ولا تعطيه إحداهن ما تعطيه الأخريات .
ويسافر إلى القطر الواحد مرات ثم يعود من كل مرة بتجربة جديدة لا تنسخ ما قبلها ولا تنسخها التي تليها

وهذا معنى التجربة ، وهذا معنى الحياة

والأصل في الحياة المبالاة بالحوادث والمؤثرات ، لأن المكان الحي كجهاز التلقي والإرسال الذي لا ينعزل مما حوله ولا تنقطع الصلات بين العالم الخارجي وبينه . فإذا انتهى به الأمر إلى تجاهل الحوادث وقلة الاكتراث لها فتلك ضرورة طارئة تراض عليها النفس بعد معالجتها وتكرير علاجها ، ثم يكون الاستقرار عليها بمثابة الصدأ الذي يمنع الاتصال ، فلا تلقٍّ ولا إرسال ، أو يكون على أحسنه بمثابة رفع المفتاح وتعطيل الأداء والاستقبال

وربما فهم ذلك في بعض مراحل الحياة التالية ؛ أما الابتداء به في المراحل الأولى فغير مفهوم ولا معهود ، إلا أن يكون عن نقص في التكوين وعجز عن التجربة ما يراد منها وما لا يراد

قيل إن السعيد من وعظ بغيره . ولكن أين هو السعيد ؟ وما جدواه من السعادة إن كان اتعاظه « شعوراً » غير أصيل فيه ! أما إن اتعظ أصيلاً في شعوره فهو هنا مبتدئ وليس بتابع ، وهو يجتنب الخطر لأنه أحسه واختبر منه ما يدعوه إلى اتقائه . فليس هو بمالة على تجربة غيره ، وليست تجربة غيره إلا تذكيراً لناس أو تنبيهاً لغافل

ولتتخيل عالماً يستريح الناس فيه من « المبالاة » فماذا يبقى لهم من الحياة ؟

ماذا يبقى من الحياة لمن لا يبالون الخوف والرجاء ولا يحنون إلى ماض ولا يتوقون إلى غد ولا يحفلون بحاضر ؟

العريان في القافلة مرتاح

وهذا عري في قافلة الحياة !

ولا شك أن التجارب تعلمنا كثيراً أن العناء لا يفيد ، ولكن من هذا الذي يعاني باختياره ؟ ومن هذا الذي يعاني لفائدة يلتمسها من عنائه ؟

إنما يعاني الإنسان على حسب ما عنده من طاقة العناء لا على حسب ما يستفيده من العناء

ولهذا يوجد بين الناس آحاد معدودون يطلبون العظائم ويبلغونها ولا يقنعون بما بلغوه منها ، وينظر إليهم ملايين الملايين فلا يتحركون لمثل ما ابتغاه أولئك الآحاد المعدودون ، لأن المحرك هنا هو الطاقة الموجودة وليس هو الفائدة التي لم توجد بعد ولا يُضمن وجودها

إن كرة المطاط تنضرب إلى الأرض مائة مرة ولا تزال تعلو وتسفل في أثر كل ضربة . ثم تنضرب بعد هذا فتقع حيث هي لا علو ولا استفال . ألأنها علمت أن العلو لا يفيد ؟ كلا . . . بل لأنها أضاعت مرونتها التي تعلو بها وتهبط . . . فمن الذي يطلب من الكرات الجديدة أن تعتبر بمصير هذه الكرة « المجربة » فتقع حيث هي وتضيع من مرونتها باختيارها ما ضاع « بالتجربة » على غير اختيار ؟

ولست أقول للكرة التي سكنت إلى موضعها : غالطي الحقيقة وعاودي الوثوب وقد راضتك الحوادث على اجتنابه ! ! ولكني أقول للكرة الجديدة : إياك أن تغالطي الحقيقة وأن تسكني لأن غيرك قد سكن من قبلك . بل اسكني حين يواتيك السكون ولا تقدرين على غيره ؛ واطامي وانزلي ما دامت لك طاقة بالطلوع والنزول

فقلة المبالاة لا قيمة لها إن لم تأت بعد مبالاة ، لأنها تكون يومئذ مرضاً أو قصوراً لا ينبغط عليه . ولا بد إذن من مبالاة ولو قصيرة الأمد قبل أن تصبح قلة المبالاة تجربة نفسية ورياضة خلقية . وليس شرطاً مع هذا أن تكون تلك التجربة مما يحمد على كل حال ، وأن تكون تلك الرياضة مما يقتدى به كل إنسان

وغاية ما يرجى من انتفاع بتجارب من مضى أن نعيد تجربتها في وقت أقصر وعلى ثقة أوضح وأبصر . . . ولم ؟ ليتسع العمر لتجارب أكثر مما جربه الأولون ، لا لينقص نصيبه من التجربة اكتفاء بما جربوه

فتكرر الأجيال عبث إذا كان معناه أن جيلاً واحداً يعالج مشكلات الحياة ثم تعفى بقية الأجيال من علاجها . وتكرر الأجيال معقول إذا كان لكل جيل نصيبه من عبء الحياة وعليه مزيد جديد .

عباس محمود العقاد